

## الطيران في لبنان:

## مطارات في المناطق، أنشأها الإنتداب فأهملت

ما فتىء الانسان، منذ فجر التاريخ، يعمل جاهدا على اكتشاف المجهول والوصول الى منجزات تسهل عليه صعوبات الحياة. فقد صال وجال في الميدان الاقرب اليه وهو الارض، فغرسها اشجارا، واستنبتها خضارا، واقام على اديمها الابنية والمسكن، ثم سخر المياه لمزاولة تجارته واسفاره، واكتشف الامصار القريبة والبعيدة. لم يكتف بذلك، لأن مطامعه سوّلت له ايجاد الوسيلة للارتفاع في الفضاء واختراق الطبقات الجوية. لقد قلد الاسماك في البحار ومخر عباب المياه، فلماذا لا يكون كالطيور التي تشق طريقها بخفة ورشاقة في طبقات الجو؟ هذه المحاولات منبثقة من الاساطير القديمة، ولا سيما اساطير الاغريق لما كانوا عليه من قدم راسخة في عالم الحضارة. وقد جاء في هذه الاساطير ان مينوس، ملك "كريت"، سجن ديدال وابنه ايكار في التيه (Labyrinth)، وكان هناك كتل من ريش الطيور التي كانت تقدّم كطعام لـ"المينوتور"، فأفاد ديدال منها بأن صنع بواسطتها اجنحة ملتصقة بجسده بواسطة الشمع، وطار هو وابنه في الجو هاربين من السجن، وحين اقترب ابنه ايكار من الشمس ذاب الشمع، فانفصلت عنه اجنحته وسقط في البحر.

لم تكن التخيلات والاساطير وفقا على الاغريق وحدهم. فالعرب كانوا في مقدم الشعوب التي دغدغت الاساطير احلامها وسبحت في عالم الخيال، والدليل على ذلك ما نقرأه باعجاب في مرويات "الف ليلة وليلة" وقصة الملك سيف بن ذي يزن من ركوب الناس ابسطه الريح والانتقال عليها جوا من قطر الى قطر، تتكلم المرويات عن ذلك كأنها ضرب من ضروب الحقيقة لا الخيال.

اما العباس بن فرناس (العربي)، المتوفى عام 888، فكان من اوائل الرجال الذين حاولوا الطيران بطريقة علمية، وكانت عدته عبارة عن رداء من ريش كسا نفسه به فجعل له فيه جناحين، وقيل انه طار في الجو مسافة، لكنه لم يحسن الاحتياط في نزوله فتأذى في مؤخرته لأنه لم يذبل نفسه (تاريخ العرب المطول لفيليب حتي، الصفحتان 709 و 710)، وقد اقيم له اخيرا تمثال في مطار بغداد.

من طرائف المنجزات العلمية ان احدى محاولات غزو الفضاء قد حدثت منذ سبعة قرون. قام مغامر صيني اسمه وان هو بهذه المحاولة، اذ احضر صندوقا وثبت فيه مقعدا ربط نفسه به وشد الصندوق الى اربطة طويلة تنتهي بمجموعة كبيرة من الصواريخ التي تم اطلاقها في وقت واحد. فانتشرت في الجو انقشاعها ويتربون عودة البطل المغامر. لكنه لم يعد الى اليوم، فقد فتكت به صواريخه التي لم يحكم صنعائها (مجلة "قافلة الزيت"، اوغسطس - سبتمبر 1970).

من طرائف المنجزات العلمية ان احدى محاولات غزو الفضاء قد حدثت منذ سبعة قرون. قام مغامر صيني اسمه وان هو بهذه المحاولة، اذ احضر صندوقا وثبت فيه مقعدا ربط نفسه به وشد الصندوق الى اربطة طويلة تنتهي بمجموعة كبيرة من الصواريخ التي تم اطلاقها في وقت واحد. فانتشرت في الجو انقشاعها ويتربون عودة البطل المغامر. لكنه لم يعد الى اليوم، فقد فتكت به صواريخه التي لم يحكم صنعائها (مجلة "قافلة الزيت"، اوغسطس - سبتمبر 1970).

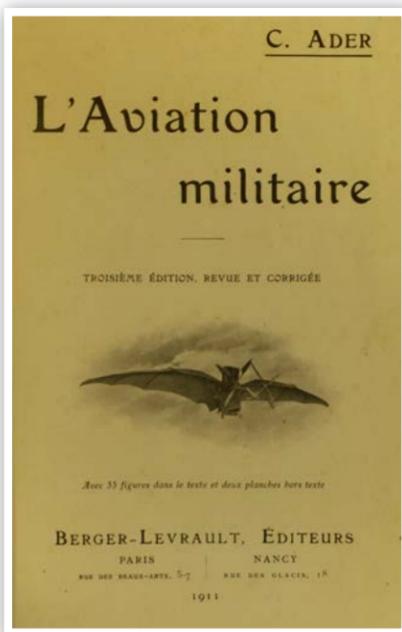
من القصص المتعلقة بالطيران قصص جول فرن (Jules Verne) الخرافية التي راجت في الخمسينات من هذا العصر، وقد ركز العلماء على تخيلات هذا الرجل في اطلاق المراكب الفضائية من الارض الى القمر من النقطة التي عينها (ونجد لقصة بدء الطيران مقالا اضافيا في مجلة "المقتطف" لسنة 1910).

الرحلة بعناية زائدة مترقبين وصول الطائرة اليهم ليشاهدوا كيف يمكن للبشر ان يأتوا على متنها من العاصمة الفرنسية.

غادرت الطائرة باريس صباح 21 تشرين الاول 1913 في احتفال مهيب، وسارت بهدوء الى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية وحطت في يشيل كوي حيث جرى لراكبيها احتفال منقطع النظير. ثم برحت الاستانة الى حلب تجتاز مرحلتها الثانية، فلم تتمكن من قطع جبال طوروس، فاضطرت الى النزول هناك وانصرف راكباها الى العمل على اصلاحها. في مساء اليوم الثالث اشتد البرد في الليل، فأوقد الجنود المولجون حراستها النار ليصطلوا بها، فاتصل شرارها بالبنزين، فالتهب واحرق الطائرة، فكان من جراء ذلك ان خسر البيروتيون رؤية اول طائرة اقبلت على هذه البلاد. الا ان هذا الفشل الذي اصاب الطيارين لم يفت في عضد الفرنسيين، فنهض كثيرون من طيارهم للاشتراك في هذه المسابقة، وكان ان اقدم فدرين (Vedrine) على هذه المحاولة ليتمّ العمل الذي كبا فيه زميله دوكور.

غادر فدرين باريس الى المانيا حيث حلّق فوقها من دون ان يحط فيها، ومنها سار الى المجر فكانت محطته الاولى، ثم تابع تحليقه الى صربيا. وانفق ان مر عن غير قصد في منطقة حربية نمساوية، فأطلق النمساويون عليه النار، فلم يصيبوه. تابع رحلته الى الاستانة فكان له فيها استقبال شائق. وجاء الى قونيه مجتازا سلسلة جبال طوروس. مر فوق حلب، فوصل بيروت في صباح 25 كانون الاول 1913 وهبط في الكرتينا. فاستقبله اللبنانيون بحفاوة منقطعة النظير، واقامت له الحفلات الرائعة، ونظم الشعراء القصائد الرقيقة، ومنهم الخوري بطرس البستاني وشبلي الملاط والاخلط الصغير. سافر فدرين في 27 من الشهر ذاته الى يافا فالقاهرة، ومن هناك الى فرنسا. وقصيدة احمد شوقي امير الشعراء فيه مشهورة.

يظهر ان الطيار الفرنسي بونه (Bonnet) اراد ان يكون له مثل هذه الحفاوة التي لقيها



زميله، فتبع الطريق ذاته، فوصل الى بيروت في 29 كانون الاول، اي بعد وصول فدرين باربعة ايام، ونزل في جهة رمل بيروت، اذ لم ير المكان المعدّ لنزوله وقد غابت الشمس. في صباح اليوم التالي، 31 كانون الاول 1913، جاء الى مقر نزوله المسيو كولوندر قنصل فرنسا العام، فركب واياه الطائرة وحلقا فوق دار الحكومة في بعبداء ومنها انحدرنا الى ساحة الطيران القائمة في ناحية الكرتينا. كانت الجموع محتشدة لرؤيتهما، فاستقبلتهما بالتصفيق والهتاف، ولما نزل بونه الى الارض التقت له صورة مع مستقبله، وفي اليوم التالي سافر الى القدس ومنها الى القاهرة.

في 15 شباط 1914 وصلت الى بيروت طائرة عثمانية اسمها "معاونت مليه" يقودها اليوزباشي اركان حرب فتحي بك والملازم صادق، فنزلت اولاً عند شاطئ نهر بيروت، ثم في محلة شوران قرب الحمام العسكري اليوم. وقام الطياران في الايام التالية ببعض الزيارات، وحلقا فوق سماء بكركي وسرايا بعبداء، وجرت لهما في كل مكان استقبالات رسمية وشعبية. لكنهما

سقطا بطائرتهما قرب طبريه في 27 شباط، فماتا. كان الحزن عليهما شاملا، واقامت لهما مناحة كبرى ودُفنا في تكيّة السلطان سليم في دمشق. في اثناء الحرب العالمية الاولى انشأ الالمان وحلفاؤهم مطار رياق العسكري، وكان اللبنانيون يشاهدون طائراتهم وبعض طائرات الحلفاء تحلق في سماء لبنان على علو شاهق، وعند سماعهم ازيزها كانوا يصعدون الى سطوح منازلهم ليروها بالمنظير. كانت غالبية الطائرات تتألف من طبقة او اثنتين، والقائد كان ظاهرا في وسطها، وبعضها كان من نوع بريغيه، وكان الناس يقفون طوال النهار وليس لهم موضوع يتحدثون فيه الا قضية الطائرة التي شاهدوها في ذلك اليوم.

كانت طائرات الحلفاء المنتصرين تهبط في اول عهدهم بلبنان في الفسحة القائمة ما بين جسر بيروت والدورة. ثم تسلّموا مطار رياق ووسّعوه واخذ الضباط الفرنسيون المتخصصون في فن الطيران يدربون بعض الشبان اللبنانيين على الطيران، فنبغ بعضهم فيه، وفي مقدمتهم جوزف ابوعكر نعمه من دير القمر الذي نال قصب السبق في المباريات هنا وفي فرنسا، وهو اول طيار لبناني حلّق في سماء البرازيل. عام 1933 أنشأ الفرنسيون مطارا لبنانيا مدنيا يخدم لبنان والمنطقة المجاورة في الشرق الاوسط، فكان مطار بئر حسن، وقد أهمل في ما بعد.

عندما دخل الانكليز والديغوليون لبنان سنة 1941 انشأوا بعض المطارات الصغيرة في تربل ومرج مرجعيون وبعلبك. ثم انشأوا مطار القليعات، وقد أهملت جميعها اليوم الا مطار القليعات.

في بداية عهد الاستقلال تسلّم لبنان جيشه في اول آب 1945 ومعه سرية القاعدة الجوية الاولى (رياق)، فوسّع مطار القليعات. كما أنشئ مطار بيروت الدولي المدني الذي دُشن سنة 1950، فكان ان أسست في هذا البلد شركات مدنية للطيران تضاهي الشركات العالمية الكبرى شهرة من حيث انواع طائراتها واختصاص ملاحيتها وفنييها.